7

الجانب الآخر من النكاح

إذاً لقد تزوجتِ. أنتما هناك، غريبان في الواقع، وحدكما معاً للمرة الأولى. هل هناك أي طريقة لوصف التوتر، الخجل، رهبة التوقّع والتردد التي تطبع تلك الأيام والليالي الأولى بطابعها؟ بينما «رهبة المتزوجين حديثاً» شيء لم يعد معروفاً فعلياً في الغرب اليوم، الأيام الأولى للزواج الإسلامي مليئة بالاستكشاف والاكتشاف، الإثارة والتساؤل: أنتما شخصان يتعرفان على بعضهما، روحياً، وذهنياً وجسدياً. غالباً، ستكونين أنت وزوجك تعيشان معاً، برغم أنه ليس غير شائع أن تتأخر هذه المرحلة حتى تجدا منزلاً جديداً تسكنان فيه. بالنسبة للكثير من المتزوجين حديثاً، «مدة المودّة» تلك رائعة تماماً. يمكنكما أن تتعاملا مثل صديقين وعاشقين وليس زوجاً وزوجة؛ لأنكما تستطيعان فعل كل ما ترغبان به معاً دون أن تتعرضا للضغوط وكل المسؤوليات التي ترافق ذلك. إنه وقت التعوّد على بعضكما، والتعرف إلى بعضكما أكثر، الخروج في نزهات، والذهاب في «مواعيد»، وأن تكونا حبيبين شابين، إنه وقت مبارك للاكتشاف.

احتفالات الزفاف و «المواعدة» شيء رائع للغاية، لكن عاجلاً أم آجلاً، ستبدأ مرحلة ما بعد «شهر العسل». كوننا اعتنقا الإسلام، أعرف أنا وصديقاتي من كل أبحاثنا أن الزواج في الإسلام يقوم على حقوق وواجبات، ونظراً إلى أنها أشياء فرضها الله، ينبغي أخذها على محمل الجد.

لهذا، ما نوع الاتفاق الذي نعقده بهذا الشأن؟

الحقوق والواجبات في الزواج

لا فائدة من أي نقاش للحقوق والواجبات إذا لم يأخذ المرء في الحسبان أنه، في رؤية الله، الرجال والنساء متساوون. إنهم يستحقون الثواب نفسه على فعل الخير وينالون العقاب نفسه على فعل الشر. بالفعل، كانت أم سلمة، إحدى زوجات النبي ﷺ، التي سألته لماذا يشير الله دائماً إلى الرجال في القرآن، السبب في نزول الآية:

﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195].

وأيضاً الآية:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

المرأة المسلمة ليست مستثناة من أي أعمال عبادة ـ صلاة، صيام، دراسة الدين، الذهاب إلى المسجد، دفع الزكاة ـ إلا عندما يكون هناك مانع جسدي خاص بالمرأة، مثل الحمل، الحيض أو النزيف اللاحق للولادة. كما هو متوقع من الرجل أن يدرس الدين، ينبغي عليها أيضاً أن تتعلم قدر ما تستطيع من الدين، تبذل أقصى جهدها لإتقان صلاتها، تبقى مخلصة وتقوم بأفعال الخير، ما هو مطلوب من المرأة ليس مختلفاً عما هو مطلوب من الرجل. بخلاف المعتقدات الأخرى، ليس هناك أي جدال في الإسلام

حول امتلاك المرأة للأرواح أو مسؤوليتها عن «سقوط الإنسانية» أو، فيما يخص ذلك الأمر، كونها شريرة بطبعها وتميل للوقوع في الخطيئة. هذا شيء لا يعيه الكثير من الناس، لكنه بالتأكيد شيء لطالما كان يمنحني سلواناً كبيراً.

برغم أن الرجال والنساء متساوون روحياً، إلا أنهم يقومون بأدوار اجتماعية ويتحملون واجبات مختلفة في الإسلام. لهذا، يتمتعون أحياناً بحقوق مختلفة عن بعضهم. ضمن الزواج الإسلامي، دور الرجل ومسؤولياته مختلفة تماماً عن تلك الخاصة بالمرأة. هذا يعني أن حقوق الزوج والزوجة متمايزة أيضاً عن بعضها وتُكمل كل منها الدور المختلف الذي يقوم به كل منهما.

إضافة إلى الحقوق التي تتمتع بها كل امرأة بموجب الشريعة الإسلامية، مثل حق الملكية، الثروة والهوية القانونية، وتتضمن حقوق الزوجة معاملتها بالمعروف وتلبية كل حاجاتها من طعام ولباس ومنزل كما يأكل ويلبس وحيث يسكن زوجها. لها الحق في العلاقة الجسدية وإنجاب الأطفال. إنها مسؤولة عن تربية الأطفال وإدارة المنزل، وفي يوم الحساب، سوف يسألها الله عن ذلك:

«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته؛ والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته؛ والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها؛ والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته. كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

حديث ورد في صحيح البخاري.

في الإسلام، لكل مجموعة اجتماعية قائد، ذكر أو أنثى، ويكون شخصاً مسؤولاً عن العناية بالآخرين، سواء في الدولة، المسجد، العمل أو المنزل. وبرغم أن ذلك الشخص مطالب بالتشاور مع أفراد المجموعة الآخرين، إلا أن القرار النهائي يقع على عاتقه أو عاتقها ومسؤول أمام الله عن ذلك. مثلاً، امرأة تدير عملاً ستكون مسؤولة عن معاملة موظفيها، عن التعاملات الصادقة لذلك العمل والإدارة الجيدة للشؤون المالية.

يرأس الزوج وحدة العائلة الإسلامية. برغم أنه ليس، على أي حال، المسؤول الوحيد عن صالح كل أفرادها الروحي، والجسدي والمالي، إلا أنه من يتحمل المسؤولية النهائية وسوف يسأله الله عن ذلك.

يتمتع الزوج بحق العناية بحاجاته في منزله، الطهي والتنظيف وإصلاح ملابسه. بدت واجبات الزوجة هذه عتيقة الطراز بالنسبة لي، لكني سرعان ما علمت أن موقف الإسلام مما يُشار إليه ازدراءً الآن بـ«عمل الزوجة» مختلف تماماً عمّا نشأت عليه. اعتناء الزوجة بزوجها وعائلتها يحوّل المنزل إلى ملاذ من الطمأنينة والسكون، وراحة من ضغوط العالم الخارجي. العناية باحتياجات زوجها تُثاب عليها المرأة بقدر ما يُثاب الرجل على العناية بها. لهذا، ليس هناك على الإطلاق وصمة مرتبطة بتلك الواجبات في الإسلام، خاصةً عند القيام بها بنية صافية. وجدت الآتي منطقياً: رجل فقير يعمل طيلة اليوم لتلبية ما أحتاجه وأريده، هل كثير عليه أن يجد وجبة جاهزة له عندما يعود إلى منزله؟ العناية بمنزلنا الحبيب؟ العناية بملابسنا الجميلة؟ لم يبدُ ذلك كثيراً. إضافة إلى ذلك، يتمتع الرجل، مثل زوجته تماماً، بالحق في العلاقة الجسدية وإنجاب الأطفال.

لكـن الزوج له حـق آخر: ينبغي أن تطيعه زوجته في كل ما لا يتعارض مع الشريعة.

تطيعه؟

تطيعه، هكذا ـ مثل طفل؟ خط تحت الكلمة، أَمَة، تطيع من؟

لن أكذب لحظة واحدة: كان ذلك السـؤال الأخير الوحيد الذي جعلني أتوقـف للتفكير! تطلـب الأمر كل إيماني ـ معتقدي ـ حتى استوضـح ذلك هنـاك وفي تلك اللحظـة. كان ذلك علـى النقيض مما نشـأت عليه، مما تعلمته، مما أردت القيام به! لم يكن لدي أم مثل مي التي أخبرتها: «عندما تتزوجين، سوف تتركيننا وتتبعين زوجك: أطيعي زوجك ...».

لم أحصل أبداً على نصيحة مماثلة، ولم أكن أرغب بذلك. كنت غريبة تماماً عن كل ذلك.

«إذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت».

حديث عن النبي ﷺ، رواه الإمام أحمد والطبراني.

إذاً، كيـف تقبلـت الأمـر؟ بصـعوبة: مع الكثـير من البحـث الروحي، والقـراءة، ومحاولـة الفهم، وفي النهاية، الإذعان. كان عليّ تذكير نفسـي باستمرار فيما قاله الله:

﴿وَعَسَـى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَـرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

وأدركت أيضاً مدى أهمية أن تحظى المرأة بزوج يخاف الله حقاً، شخص ليس مستبداً، طاغية يحكم منزله بقبضة من حديد. وفي شبابي، تأكدت أيضاً أن يعرف زوجي المستقبلي أنني لن أتحمّل أياً من ذلك الهراء: لن يأمرني بأن أصمت. وحتى إذا لم يكن هناك أي إشارة على أنه من ذلك النوع، لم أكن لأجازف. حذّرته عملياً في كل مرة تكلمت فيها معه حتى قال لي يوماً ما بأنه قد «فهم الرسالة، اتفقنا؟».

مضطهِد/ مضطهَد

يظهر أن هناك شيئاً في صورة الرجل الملتحي الذي يمشي مع امرأة مغطاة تثير أفكاراً عن الكبت والإذعان، عن القوي والضعيف: «أراهن أنه جعلها ترتدي ذلك الشيء!». الويل لامرأة إذا تخلّفت عن زوجها لأي سبب: «شاهدوا، إنه يجعلها تمشي خلفه، حقاً، بعشر خطوات وراءه!» وإذا كانت تحمل المشتريات وهو يحمل الطفل: «يعاملها مثل حمار، أليس كذلك؟». وإذا كان يحمل المشتريات وهي تحمل الطفل: «أراهن أنها لا ترتاح أبداً، كل ما يفعلانه هو التناسل!». يبدو كما لو أن أي عمل، بغض النظر عن أهميته، يصبح تأكيداً على الأفكار المسبقة التي يحملها الشخص. إنها قصة «الطحّان وحماره» يومياً!

كما قالت لي كلير: «يعتقد الناس، أن الرجل، في الإسلام، مسؤول عن كل شيء، أي إن المرأة المسلمة لا تختار شيئاً، وأنها تؤمر بما ينبغي عليها القيام به، وأنه ليس لديها أفكارها، أو خططها، أو حياتها الخاصة بها». كل ذلك من فم أخت يجري في عروقها دم كلتي ـ يمكن أن يقال ذلك بكل صراحة. لكن هل هناك حقاً حياة تتجاوز حقوق الزواج وواجباته؟

ما وراء الحقوق

الزواج في الإسلام ليس مجرد حقوق وواجبات، هذه فقط القواعد التي يقوم عليها. أساساً، تأتي الحقوق في المقام الأول، قبل الحب، والرومانسية وزهرة الصداقة، وتكون آخر ما يذهب، بعد وقت طويل أحياناً من انطفاء جذوة الحب. لكن ما وراء الواجبات والالتزامات، يوجد فردوس، تماماً كما هو موجود في حالات الزواج الأخرى في الثقافات والأديان الأخرى. وبرغم أن للحب بين المسلمين دليله وشكله في الشريعة، إلا أنه لطيف، عذب وانفعالي مثل أي حب آخر، تماماً كما علّمنا النبي ﷺ عندما قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم».

كما أخبرتني غانية: «في هذه الحياة الدنيوية، زوجي هو من يحميني، صديقي الحميم، مستشاري، سندي ومصري! شخص أتعلم معه، وعندما تسوء الأمور، شخص أتكلم إليه، أزواجنا هم أفضل أصدقائنا، وبرغم أننا نحب صديقاتنا ونكون سعيدات بفعل ما يخصنا خلال جزء من النهار، اكتشفنا أننا لا نستطيع الاستغناء عن أزواجنا؛ لأن الله بارك فينا».

«كل ما يمكنني قوله: إن زوجي يبدو كمن فرّ للتو من طالبان، يبدو مثل أفغاني، شيئاً فشيئاً! لكنه أكثر الأشخاص لطفاً، محبة وروعة على وجه هذه الأرض، ما شاء الله! أتمنى أن يكون لدى كل امرأة زوج مثله ... فقط لا تأخذوا زوجي!» بيغوم.

وإذا كنت قد فكّرت بأن الزوج المسلم سيكون مغروراً ومتحفظاً عن القيام بما يعده «عمل المرأة»، اكتشفت أن الرجل المسلم الحقيقي، الذي يستحق الاحترام، لا يخاف من إذلال نفسه أو تلويث يديه! كما قالت لي

سـارة: «عندما كنت حاملاً، كنت أمرض باسـتمرار. كان زوجي يدعمني كثـيراً، ولم يكن يخيب أملي، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الأمر. ينبغي أن يكون داعماً في ذلك الدور!».

سألت أخوات عن وجهات نظرهن في الرومانسية. هل توجد في الزواج الإسـلامي؟ وماذا يعرف عنها الرجال المسلمون بالتحديد؟ قالت لي ليلى: «بالطبع هناك رومانسية، يمكنك تعليم رجل مسلم كيف يصبح رومانسياً، وأن تعلّميه كيف يقوم بذلك».

من الجدير بالملاحظة أن فكرتنا، بوصفنا أشخاصاً من خلفيات غربية اعتنقوا الإسـلام، عن الرومانسـية الغربية على وجه الخصوص، أزهار، شوكولا، عطور وذلك النوع من الأشياء. لطالما كانت لدى سارة هذه الفكرة أيضاً حتى تزوجت رجلاً عربياً جعلها تعيد التفكير في فهمها للرومانسية. قالت لي: «تشـجع الثقافة الغربية على ذلك النوع من الرومانسية. ترينها على التلفاز، تسـمعينها في الموسيقى وهي نوع خاص من الرومانسية. لكن إذا لم يكـن [الرجال غير الغربيين] منفتحـين على ذلك، إذا لم يكونوا قد شـاهدوا أبـداً مثالاً عنهـا في ثقافتهم أو مـن أهلهم، أعتقـد أنه لن يكون لديهم حقاً أدنى فكرة. وينبغي أن تشرحي لهم ذلك».

إذاً، كيف تأقلمت مع الصدمة الثقافية؟

«حسـناً، كنت منفتحة علـى الكثير من الثقافات خلال نشـأتي، وكنت أعـرف عندما تزوجت أن بعض الخلافات الثقافية ستنشـأ بيننا. مثلاً، إذا اشـترى لي زوجاً من الأحذية، يكون سـعيداً حقاً، تلك هي طريقته في إظهار حبه، فيما أرى الرومانسية في سياقها الغربي «عندما ترى الزهور، ينبغي أن تفكر بي!».

وهكـذا، بالرغم مما اعتبرته عقبة لا يمكـن تذليلها، إلا أنني اختبرت وشـاهدت حالات زواج إسلامي تجاوزت قضـية طاعة المرأة لزوجها، وأن الرجل رب الأسرة. هناك حالات اقتران تسودها المحبة، والأمان، والدعم والصـدق. في العـرف، يحـترم الأزواج زوجاتهم، آراءهن ومشـاعرهن؛ ويعملان معاً كفريق، ويساعدان ويدعمان بعضهما.

وهكذا بدأت أفهم أن الزوج المسلم مثل أي قائد، إذا كان فاسداً، فسوف يستفيد من أي شيء لإساءة استغلال منصبه. لكن إذا كان قائداً صالحاً، يحب الله ويخافه، فسيعمل على تلبية كل رغبات زوجته وحاجاتها، وكل ما يأمره الله به!

وهكذا، بعد الكثير من البحث الروحي والصـراع مع النفس، اكتشـفت توازنـاً بين مـا أمرني الله به والحفاظ على شـعوري بذاتـي. وبرغم أنني مطالبـة بالامتثال لرغبات زوجي، إلا أننـي كنت محظوظة؛ لأن لي ذهنية خاصـة بي، صـوت، ولباقة ودين يحميني من الاستبداد، ورجل يخاف الله أكثر مما يسعى ليحكم منزله بقبضة من حديد.

زوجات آليات

كان قد مضـى على زواجي بضع سنوات عندما رأيت مصادفة النسخة الأصـلية من زوجات آليـات Stepford Wives. أتذكـر أنني تأثرت كثيراً به: جعلني أشـعر بالضـعف والخوف. سألت صديقاتي: «هل هذا ما يريده الرجال حقاً؟ هل سيقايضني زوجي بزوجة آلية إذا استطاع؟». كانت فكرة أن الرجل، في قرارة نفسه، سيتخلى عن شخصية، موهبة زوجته وكينونتها مقابل زوجة طيّعة خانعة تعد أن سعادتها الكبرى تكمن في رؤية وجه زوجها

القانع ينعكس عن الأرضية اللامعة قد أرعبتني. مع تاريخي الخاص في الكفاح مع المناحي الإيجابية والسلبية لعلاقة الزوج ـ الزوجة في الإسلام، كان يمكن تفهّم سبب انزعاجي. اعتبرت أن الزوجة الآلية قوقعة للمرأة: تجرّدها من شخصيتها، آرائها، اهتماماتها أو حوافزها.

لكن، كما رأينا، هناك جوانب في شخصية «الزوجة الآلية» يتم تشجيع الزوجات المسلمات على الالتزام بها: طاعة أزواجنا، العناية جيداً بهم وبأطفالنا، الاهتمام بالمنزل، الاهتمام بأنفسنا وأن نبدو بمظهر حسن. لهذا حثّني ذلك على طرح أسئلة: أليست الزوجة المسلمة المثالية في الحقيقة المجردة زوجة آلية؟ وبالفعل، في تكريس نفسها لأطفالها، ومنزلها وزوجها (ليس بالضرورة بذلك الترتيب)، ألا تنافس الزوجة المسلمة الزوجات الآليات؟ إذا لم تكن تعمل خارج المنزل، فسوف تستثمر الكثير من الوقت والطاقة في تدبير شؤون منزلها، في الطهي والتنظيف والترتيب، إضافة إلى تغذية أطفالها، اللعب معهم وتعليمهم. على أي حال، العناية بشؤون منزلها ليس سبب وجود المرأة المسلمة. لقد خُلقت لعبادة الله، وبرغم أنها تستطيع تحقيق ذلك من خلال عملها في المنزل، إلا أن هناك الكثير من الطرق الأخرى التي تستطيع من خلالها تحقيق هدف وجودها. وكان عليّ أن أسأل نفسي: ألا يحب كل رجل أن يعود إلى منزل نظيف، وجبة ساخنة، زوجة جميلة وأطفال سعداء قانعين كل مساء؟ وإذا لم يكن كل مساء، الأمر الذي ربما يصبح متعباً بعض الشيء، على الأقل مرة بين الحين والآخر! بالفعل، أي امرأة لا ترغب بأن يكون لديها زوج يجد كل دعاباتها مسلية، يرغب بأن «يتحدث عنا» كلما أرادت، ينزع جواربه دائماً، ويشتري لها كل ما ترغب به زوجاً آلياً! دلّوني على المرأة التي ستقول لا!

دون أدنى شك، يوجد رجال، مسلمون وغير مسلمين، يحلمون بتحويل قريناتهم إلى زوجات آليات. إنها أسهل، أكثر مرونة وأقل صعوبة، أقل مما إذا كانت «امرأة حقيقية». لكن بالنسبة لمعظم الرجال، هذه واحدة من تلك الخيالات الواهمة. لأن الحقيقة، بالنسبة لمعظم الرجال، هي أن الزوجة الآلية ستمزّقهم إرباً بعد عدّة أسابيع.

«كان زوجي يبحث بحرص عن زوجة تمتلك شخصية متميزة، امرأة ناضجة، امرأة يستطيع تبادل الأفكار معها، امرأة تدفعه إلى الأمام بطرق معينة» هاجر.

علاوة على ذلك، هناك بعد آخر بالنسبة للرجل المسلم. برغم أن الرجل المسلم القوي الواثق من نفسه لا يمانع ببعض الرضوخ من زوجته، وبعض الدلال وطعام ساخن باستمرار، إلا أنه يريد خديجة أو عائشة. هاتان المرأتان الرائعتان، زوجَتَا النبي ﷺ، من أمهات المسلمين، أفضل نساء الخليقة. نعم، كن زوجات مسلمات طيبات لكنهن أيضاً الإثبات الأقوى الذي وجدته ضد فكرة أن تكون الزوجة المسلمة آلية. كانت خديجة سيدة أعمال ناجحة، أكبر سناً من النبي ﷺ، وقد استعانت به لقيادة قوافلها. بعد أن أدركت أنه جدير بالثقة ومثابر في عمله، طلبت منه الزواج منها. وعندما تلقى النبي ﷺ الوحي أول مرة، إلى من التجأ؟ إلى خديجة. من كان أول شخص يعتنق الإسلام ويؤمن بالرسول ﷺ؟ خديجة. من اصطحب النبي ﷺ إلى وَرَقة؟ من شرح علامات النبوة له؟ إنها خديجة. لم تكن تلك زوجة آلية، تتصرف وفقاً لبرنامج سهل. وبعدها، بالطبع، كانت هناك عائشة، المعلمة التي تشرح الشريعة الإسلامية، الشاعرة والطبيبة. كانت من رفضت أن تشكر النبي ﷺ عندما كشف الله براءتها من تهمة الزنا التي تم

إلصاقها بها، وحمدت الله بدلاً من ذلك. تحدّته، لعبت معه وفتنته. وعندما سُئل محمد ﷺ عن أحب النساء إليه، قال دون تردد: «عائشة».

هنا تكمن إحدى الفروق الأساسية بين النموذجين من الزوجات. الزوجة الآلية مبرمجة على إلغاء شخصيتها الفردية. ليس هناك في الأدب الإسلامي ما يشير إلى أن هذا مطلوب من الزوجة المسلمة، الشخصيات المختلفة لزوجات النبي ﷺ والصحابيات خير دليل على هذه الحقيقة.

أيضاً، يتم تشجيع المرأة المسلمة على دراسة دينها، حتى تتعلم وتعرف حقوقها وحقوق الآخرين. ومعرفة تلك الحقوق ينبغي أن تمنحها الثقة للدفاع عنها. هذا ليس جزءاً من برنامج الزوجة الآلية.

«برغم أنه يتم تشجيع المرأة المسلمة على العناية بزوجها، أطفالها ومنزلها، إلا أن هناك تشديداً كبيراً على تعليمها ودراستها. انخرطت العديد من الأخوات اللواتي أعرفهن، واللواتي لم يتلقين تعليماً، في تعليم جدّي ـ ديني أولاً ثم شيئاً آخر بعد ذلك، بسبب هذا. ازداد حبهن وفهمهن للتعليم، لا تجدين هذا في زوجات آليات» هاجر.

بالفعل، فقد شجع النبي ﷺ الرجل المسلم المستقيم والواثق من نفسه على الزواج من امرأة صالحة قوية ورعايتها؛ حتى تستطيع مساعدته في كل ما يتعلق بالحياة الآخرة، وأن تتعلم منه، تعلّمه، تذكّره وتساعده على طاعة الله.

لهذا نستنتج أنه برغم وجود أشياء في الزوجة الآلية ينبغي علينا بوصفنا زوجات مسلمات أن نحاول تبنيها، إلا أن الدين لا يرغمنا على

أن نكون خادمات آليات لا تفكير لهن. بالمختصر، الزوجة المسلمة المثالية ليست زوجة آلية، إلا إن كان لديها زوج آلي، بالطبع!

لا تذكر كلمة «جنس»

لكن هناك بالتأكيد شيء مفقود هنا؟ لقد ناقشنا الزواج الإسلامي بالتفصيل، الواجبات، المنافع، المسؤوليات، الرومانسية لكننا لم نذكر «الجنس» بعد!

في العالم الغربي، الجنس سلعة يتم تسويقها علانية، وبيعها وشراؤها. يستعمله المعلنون، يغني له المطربون، يصنع له المنتجون أفلاماً، يؤديه الممثلون، يدرسه علماء النفس، يكتب المؤلفون عنه والجميع يقرأ عنه، ولا يحصل أحد على ما يشاء منه كما يدّعي! هذا هو جوهر المجتمع المنفتح جنسياً.

إذا كنا سنصدّق وسائل الإعلام الجماهيرية، فلن يكون هناك أي مفهوم عن الكبت، الامتناع عن الكلام، التحريم أو الخجل، هناك خواء أخلاقي كامل. فيما مضى، سواء كان ذلك للأفضل أو للأسوأ، كان الدين، والثقافة، والعائلة والمجتمع يعمل على تنظيم السلوك الجنسي البشري، إلا أن هناك خواءً الآن. ويتم تعبئة ذلك الخواء بما يناسب مصالح الصناعة والرأسمال، مبيعات الجنس، بشكل لم يسبق له مثيل. يبدو أنه في هذا العصر والأوان، وحده اللواط لم يحظ بقبول في وسائل الإعلام. لكن بغض النظر عن ذلك، هل هناك أي ممارسة جنسية لا يتم تشجيعها، قبولها أو، على الأقل، الصفح عنها في هذا المجتمع؟ من الخلاعة إلى اللواط، من الجنس الجماعي إلى السادية، هناك مجلات، أفلام فيديو ومحال جنس توافق كل الأذواق.

في ضوء كل هذا، يمكن أن نغفر لكل من يعتقد أن المسلمين متشددون بشأن الجنس. بالمحصلة، تغطي النساء المسلمات أنفسهن، الاختلاط غير مسموح، ينبغي على الرجال أن يغضوا من أبصارهم ويتم تحذيرنا بأشد العبارات من مناقشة حياتنا الجنسية علانية. لهذا، ما الذي يعلمنا إياه الإسلام بالتحديد عن الجنس؟ هل هو شيء مخجل، غير شريف، يتم خصيصاً للتوالد، وحتى عندها، مع أعين مغلقة وفي الظلام؟

لا. إن الإسلام يعد، الدين، الجنس شيئاً رائعاً، تعبيراً عن الحب والتواصل بين شخصين. المهم هنا التركيز على ما يقوله الإسلام، وليس ما يفعله المسلمون. لهذا سواء كان بعض المسلمين يشعرون بالخجل من الجنس هنا وهناك، المهم هو الموقف الذي يشجع الدين المسلمين على اتخاذه.

وفقاً لأدب الحديث، يمكن أن يكون الجنس عملاً من أعمال العبادة إذا كانت النية صادقة. إنه شيء صحي ومفيد، وينتج عنه سعادة جسدية وتناسل، مما يزيد من عدد المسلمين. إنه شيء يرغب به البشر وليس هناك خجل في تلك الرغبة. إنها، بالمحصلة، الطريقة التي خلقنا الله عليها. لهذا يتم تشجيعنا على تلبية تلك الرغبة ضمن الحدود التي وضعها الله. هذا يعني أن المتعة الجنسية ينبغي أن تكون ضمن الزواج. يقول الله في القرآن:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 223].

ضمن الزواج، لا يوجد سوى القليل من القيود على الطريقة التي يسعد بها كلا الزوجين الآخر. تتضمن بعض هذه القيود منع الجماع في الشرج والجنس خلال مدة المحيض، برغم أن أي شكل من التواصل الذي يتفادى

منطقة المرأة الحساسة مسموح في هذا الوقت. لكل من الرجل والمرأة الحق باللذة الجنسية ويتم تشجيعهما على إقامة علاقة حب: تُنصح المرأة بقوة على عدم اللجوء باستمرار إلى الروتين القديم «أشعر بصداع في رأسي»، وأن تكون متجاوبة قدر المستطاع عندما يطلبها زوجها. يبدو هذا منطقياً تماماً عندما يفكر المرء بالتأثير السلبي للرجال المحبطين جنسياً على الانحلال في المجتمع الأوسع. يُنصح الزوج، بالمقابل، أن يقوم بالمداعبة لضمان رضا زوجته، وألا يمارس الجماع دون قبولها؛ خوفاً من إصابتها بالإحباط، النساء المحبطات جنسياً لسن أقل خطراً على المجتمع الواسع! في الواقع، قال علامة كبير في الماضي، ابن قدامة: «يُنصح الرجل بأن يُقبّل زوجته ويداعبها قبل الجماع؛ حتى يثيرها وتشعر بالمتعة من الجماع بقدر ما يشعر، وإذا وصل إلى النشوة قبلها، ينبغي ألا يبتعد عنها قبل أن تصل إلى النشوة ... لأن ذلك سوف يؤذيها ويمنع تلبية رغبتها». كم هو مختلف فهم هذا العلامة الإسلامي عن آراء الكثير من رجال الدين في العالم الذين يعدون الرغبة، وخاصةً رغبة المرأة، شيئاً مخجلاً وغير شريف!

بالفعل، في الوقت الذي عاش فيه النبي ﷺ، كان المسلمون يناقشون القضايا الجنسية ـ من الوضعيات الجنسية إلى الاحتلام ـ ولم يكن ذلك موضع انتقاد أبداً. كان النبي ﷺ يعطي دائماً أجوبة صريحة، ويزيل الكثير من المفاهيم الخاطئة.

لهذا، موقف المسلم من الجنس بسيط: إنه شيء صحي وطبيعي له زمانه ومكانه. الجنس بين شخصين علاقة حميمة خاصة تنتمي إلى الفضاء الخاص، ضمن الزواج، وليس على الملأ.

الزواج باثنتين، أو ثلاث، أو أربع

بعد نحو شهرين من الزواج، فكّرت في أن أطلب من زوجي الزواج بأخرى. لم يكن الأمر أنني لا أحب زوجي، الأمر معكوس تماماً. لكن، في تلك الشهور الأولى من الحياة الزوجية، عندما لم يكن لدي شقة وحدي ولا أراه كل يوم، ازداد حبي لصحبتي، والحيّز الخاص بي. أحببت الوقت الذي يمكنني تخصيصه لصديقاتي، اللواتي كنت أزورهن غالباً. استمتعت بإثارة رؤيته مجدداً بعد ابتعادنا عن بعضنا، كان ذلك يبقي علاقتنا حيوية. لكن الأكثر أهمية أنني كنت قد التقيت أختاً أضحت علاقتي بها وثيقة للغاية، وفكّرت فعلاً بأن زواجها من زوجي سيجعلها سعيدة، وكان هذا ما أردته لها. كنت مستعدة (ذهنياً، على الأقل) لأن «أشارك» زوجي معها؛ لأنني أحببتها في الله. لكن زوجي لم يكن مهتماً بالموضوع، وبعد أن بدأنا العيش معاً، تراجعت الفكرة في ذهني. لكن ذلك الشعور بالحيّز والحب الأخوي شيء لم أَنْسَهُ أبداً.

هل أن ما يتم اعتباره ربما الناحية الأكثر استبداداً في الإسلام هي في الواقع وسيلة تحرير لبعض النساء؟ موضوع تعدد الزوجات مليء بالافتراضات، بين المسلمين وغير المسلمين على حدٍ سواء. على أي حال، ستكون مفاجأة للكثير من الغربيين عندما يكتشفون أن تعدد الزوجات ليس «مؤسسة إسلامية» فقط. في معظم ثقافات العالم، مسموح للرجال ويتم تشجيعهم على الجمع بين أكثر من زوجة، وقد كان تعدد الزوجات معروفاً تاريخياً بين اليهود والنصارى، وهو أمر مارسه الأنبياء والتابعون على حدٍ سواء. حتى اليوم، في العديد من المجتمعات، وحتى في مجتمعنا، لنكون صادقين، ينتشر «تعدد الزوجات غير الرسمي» على نطاق واسع.

الرغبة في المتعة، العلاقة الجنسية، علاقات الليلة الواحدة، الزيارات إلى الغانيات، الملذات والعلاقات طويلة الأمد التي تنتشر في معظم المجتمعات أمثلة على هذا. سواء كان الأمر مرتبطاً بطبيعة تعدد الزوجات الغرائزية أو بظروف اجتماعية، يبدو مؤكداً أن الرجال لديهم رغبة جنسية أكبر، برغم أن النساء يحاولن مجاراتهم، والعوائق البيولوجية أقل بالنسبة لهم (الطمث، الحمل، الولادة، الإرضاع الطبيعي وهي أمور تجعل الإثارة والوصول إلى الذروة الجنسية أكثر تعقيداً) وأكثر استعداداً للتفكير في إقامة علاقة جنسية مع امرأة أخرى غير تلك التي يحبونها.

يدرك القانون الإسلامي، الشريعة، هذه الناحية من طبيعة الذكور، وبدلاً من التظاهر بعدم وجودها، فإنها تشكّل إطاراً يرغم الرجل على تحمّل مسؤوليات رغباته الجنسية. عندما بيّن الله حقوق النساء ضمن الزواج في القرآن، لم تكن خاصة بالزوجة الأولى فقط، وإنما لكل زوجة. بموجب الشريعة الإسلامية، لا يمكن لرجل «الاستمتاع» بامرأة دون أن يكون مسؤولاً عنها شرعاً: ينبغي أن يتعرف على عائلتها أو ولي أمرها، يدفع لها مهراً، يتزوجها وأن يشهر ارتباطهما، يقدم لها ما تحتاجه، يعترف بأطفالهما وأن تصبح أحد الورثة الشرعيين. إضافة إلى ذلك، الرجل مقيد بألا يجمع أكثر من أربع زوجات، زوجات ينبغي عليه أن يعاملهن وينفق عليهن بالطريقة نفسها، واللواتي لهن الحق بالسكن في منازل منفصلة، ولهن الحقوق نفسها بالحصول على الوقت والاهتمام مثل بعضهن أن تكون لهن المكانة نفسها، والاعتراف بشرعية أطفالهن وأن يرثن منه. نظرة خاطفة على مكانة العشيقة وأطفالها في مجتمعنا ستدل على وجود فارق كبير بين العلاقة خارج إطار الزوجية والزواج الثاني.

فيما يتم اعتبار الزوجة الثانية مساوية للأولى بكل شيء، لا يتم الاعتراف بأغلبية العشيقات وأطفالهن. ويعد هؤلاء الأطفال غير شرعيين، والذين لا يظهر والدهم أبداً في المدرسة أو يوم الرياضة. ليس لديهم حقوق، وليس مسؤولاً عنهم، إنهم «أسرار الحرام».

لكن إذا كان القصد من تعدد الزوجات إرضاء حاجات الرجل الجنسية، ما الذي توفره للنساء؟ بعد موت خديجة، تزوج النبي محمد ﷺ عدّة مرات. على أي حال، على النقيض من الصورة الشائعة بين غير المسلمين عن السلطان الشرقي النهم الذي تحيط به المحظيات، كانت معظم زوجات النبي ﷺ أرامل حرب ومطلقات، ولدى بعضهن أطفال من زواج سابق. سلّطت السُنّة الأضواء على ناحية من تعدد الزوجات لا يعرفها الكثيرون: إنها تضمن بأن تجد الأرامل، والمطلقات والنساء الكبيرات في السن جميعاً الحب والأمان في الزواج، وأن يكون لديهن الوقت لتولّي مسؤولياتهن الأخرى.

خطر لي دائماً أن نظام تعدد الزوجات يناسب تماماً نوعاً معيناً من النساء: المرأة المشغولة بدراستها أو عملها، والتي تلعب صديقاتها وعائلتها جزءاً كبيراً من حياتها، المرأة التي لديها أطفال من علاقة سابقة، المرأة الكبيرة في السن التي لا تريد رجلاً يوجد معها طيلة الوقت؛ لأنها تستمتع بصحبتها الخاصة.

قالت أم محمد بشكل جازم: «تعدد الزوجات لصالح المرأة؛ لأن الزوج عندما ينفق وقته بين زوجاته، يكون لديهن المزيد من الوقت لأطفالهن وأنفسهن. بالمحصلة، متى كانت آخر مرة فعلت بها النساء

شيئاً لأنفسهن: طلين أظفار أصابعهن، واعتنين بأيديهن؟ يكون لديهن أيضاً وقت لمولاهن، وهذا مهم جداً. عندما يكون زوجها بعيداً، يكون لدى المرأة وقت لتلاوة القرآن، الاستماع إلى شريط عن المعرفة الإسلامية، العناية بدراستها بهدوء».

«أنا سعيدة؛ لأنني لست زوجة وحيدة. لطالما كنت امرأة مستقلة تماماً، أحب حيّزي الخاص بي، وبهذه الطريقة، لدي حيّز لنفسي وعندما يعود زوجي، يقدّرني ويكون سعيداً برؤيتي» عزيزة.

ميزة إيجابية أخرى في تعدد الزوجات هي المساعدة الإضافية التي يمكن للـ«ضرّة» تقديمها، خاصةً في أماكن لم يعد موجوداً فيها أو قريباً منها عائلات كبيرة.

«أنا و«ضرّتي» متقاربتان للغاية. نوجد من أجل بعضنا إذا أرادت أن تخرج، أعتني أنا وزوجنا بالأولاد. نريد العدل لبعضنا» عزيزة.

يمكن للزوجات أن يساعدن بعضهن، ويشتركن في رعاية الأولاد إذا كان على إحداهن أن تعمل أو تدرس، يطهين لبعضهن إذا كانت إحداهن مريضة أو وضعت طفلاً للتو، يتعلمن ويدرسن الدين معاً. بالفعل، هناك حالات كثيرة تبني فيها زوجات متعددات وحدة عائلية قوية، وصداقة دائمة ويعاملن بعضهن كأخوات في الإسلام، ويحببن لبعضهن ما يحببن لأنفسهن. هناك أيضاً زوجات يتفاهمن مع بعضهن، باستقلالية عن أزواجهن. هناك نساء يكتشفن وجود الكثير من الأشياء المشتركة بينهن، واللواتي يحببن بعضهن حقاً.

«إنها أختي في الإسلام وهذا أهم شيء. الدين يأتي أولاً» عزيزة.

هـذا لا يعنـي أن من السـهل على المـرأة أن تعرف أن زوجهـا يفكّر في الزواج من أخرى. تجتاحك مشـاعر كما لو تم إلقاء طن من الآجر عليك؛ لأن جوهر الأمر: فيما يخصـك، إنه لكِ ولا تريدين إشـراك أحد به. ليس سـهلاً بالنسـبة لمعظم المتزوجين الدخول في هذه المرحلـة، وأولئك الذين لا يسـتطيعون التوصـل إلى تفاهم مشترك، إما يتخلون عن الفكرة كلها أو يذهب كلٌ في حال سـبيله. لكن الكثيرين يسـتطيعون تجـاوز هذه المرحلة، وغالبـاً مـا يسـاعدهم إيمانهـم في عبورها. ويكتشـفون أنهـم يتجاوزون الاختبـارات والمحـن المتنوعة ويخرجون مـن التجربة أقـوى وأكثر حكمة، كأفراد وكعائلة.

تعدد الزوجات ليس إلزامياً، إنه أمر اختياري، انتقائي. لا يمكن إرغام أحـد على الدخول في نظام تعدد الزوجات أو البقاء فيه. وبالنسـبة للكثير من النساء، إذا كان لديهن خيار إما الحصول على المكانة الرفيعة للزوجة أو الإذلال المحتمل للعشيقة، يفوز دور «الضرّة» باليد العليا.

النحت في الصخر - عندما تسوء الأمور

عندمـا تعلمنـا بادئ الأمر عـن الدين، كنا نعتقد أنـه يمكن تفادي كل المشـكلات الزوجية، طالما التزمنا القرآن والسُنّة. باعتبار أن الدين يقدّم دليـلاً عن كل شـيء، كل مـا نحتاج إليه هـو الالتزام بالدليـل ولن نخطئ جادة الصواب. لكن الحياة نادراً ما تكون بتلك البساطة. حتى ضمن أكثر المسـلمين التزاماً، هناك مشكلات زوجية، بعضها مؤقت ويمكن إصلاحه، وأخرى أكثر ديمومة.

حلّ النزاع

على الرغم من أن الزواج مؤسسة رائعة وتسدّ الاحتياجات البشرية، إلا أنه مثل معظم الأشياء القيّمة الأخرى، له حصته من الاختبارات والتجارب. ربما يتعرض الزواج الإسلامي للمشكلات نفسها مثل أي زواج آخر، المشاجرات الشخصية، الفشل في تقدير الزوجين لبعضهما، المشكلات المالية، ضمن أشياء أخرى. لكن يمكن أن يتعرض الزواج الإسلامي لمشكلاته الخاصة به أيضاً، ويبرز بشكل خاص فشل الزوجين في منح بعضهما حقوقهما، أن يصبحا ضعيفين روحياً أو يتركا الدين تماماً. تترك كل تلك القضايا تأثيراً ضاراً على الزوج والزوجة، إضافة إلى الأطفال الذين ربما يكونان قد أنجباهما. يخفت الشعور الطيب بين الزوجين، ويبدأ الحب بالابتعاد ويصبح أصعب وأصعب منح الشخص الآخر حقوقه، ناهيك عن إظهار الحب والعواطف له.

السُنّة مليئة بالنصائح حول كيفية التعامل مع الصعوبات والاختبارات، آليات ستمنع الفرد من أن يفقد صبره في مثل تلك الأوضاع. الصبر أحد أصعب الخصائص التي يمكن أن يتمتع بها المرء لكنها الأكثر نبلاً. كانت تلك سجية تمتع بها كل الأنبياء، وهي ميزة يرفع القرآن من شأنها دائماً. ينبغي على الزوجين المسلمين أن يتمتعا بالصبر مع بعضهما وتجاه التحديات التي يواجهانها. التمتع بالصبر يعني التقيد بحدود الله وعدم مخالفتها نتيجة الإحباط، والقيام بأشياء ممنوعة نتيجة الغضب أو الحاجة للانتقام.

نصح النبي ﷺ الرجال المسلمين: «لا يَفرَك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» رواه مسلم. من الواضح أن الشيء نفسه ينطبق على

المرأة المسلمة. لهذا نحن مطالبون بالتغاضي والستر على أخطاء الآخرين وأن نلتمس أعذاراً لبعضنا.

بوصفنا مسلمين، رجالاً ونساء، نحن مطالبون أيضاً بالنظر في أنفسنا أولاً عندما نواجه مشكلة، وأن ندقق فيما نكون قد فعلناه حتى تسببنا بذلك، سواء فيما يتعلق بسلوكنا نحو الشخص الآخر أو كيف أننا ربما كنا متهاونين فيما يتعلق بديننا وعلاقتنا مع الله.

كما يقول الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

معرفة هذا يجعل ممكناً التركيز على شيء يمكننا تغييره مباشرة ـ أنفسنا ـ بدلاً من التركيز على شيء لا نسيطر عليه، سلوك الأشخاص الآخرين.

بالفعل، تمنحنا الشريعة أفضل نصيحة في التعامل مع المشكلات الزوجية وتكمن في عودة الزوج والزوجة إلى المولى. غالباً ما تكون مثل تلك الصعوبات، والطريقة التي نتعامل بها معها، نتيجة مباشرة لضعف الإيمان. بزيادة الذكر (ذكر الله)، الدعاء (التضرّع والصلوات)، فعل الخير وطلب الصفح، نقترب من الله. وعندما نركّز مجدداً على الله بدلاً من ذلك الشخص، سنجد أن الله يجعل ذلك الشخص يتغير، أو نحن نتغير أو تذبل أهمية الموقف نفسه.

هناك أيضاً خطوات أخرى يمكن اتخاذها من قبل الزوجين لحل خلافاتهما يتكلم الزوجان عن مشكلاتهما، ينصحان بعضهما، ويلومان بعضهما، خاصةً إذا كانت المشكلة مرتبطة بالدين. ربما يسعيان أيضاً

إلى الحصـول على النصـيحة من أفراد العائلة أو شخص ضليع بالمعرفة الإسـلامية. يساعد أيضاً معرفة الموقف الإسلامي من النزاع الدائر. على أي حال، يكون لهذا الأمر الأخير عادة تأثيره إذا كان كلا الزوجين يريدان فعلاً إطاعة أوامره.

ما دخل الحب بذلك؟

أخبرني والدي مرة عن مقياس للعلاقة، مقياس صحيح للغاية ومناسب جـداً حتى إنني أقوله للجميع عندما تُثار مسـألة العلاقـات. لم يجد أحد عيباً فيه بعد.

العلاقة مثل الحسـاب المصـرفي. كل لحظات الحـب، الهدايا، الكلمات الطيبـة وأوقات المـرح هي إيداعـات. كل الخلافات، خيبـات الأمل والأذى هي سحوبات. في السـياق الإسلامي، تتضمن الودائع وفاء الزوجين بحقوق بعضـهما. السحوبات هي أوقات يتم فيها الامتناع عن الوفاء بتلك الحقوق. إذا كان هنـاك إيداعات كافية، يبقى حسـاب الحـب مفتوحاً ويمكن تحمّل السـحوبات بالصـبر. لهذا تعوض الأوقات الجيدة عن تلك السـيئة وتجعل من السهل الصفح عنها ونسيانها. إذا بدأت، على أي حال، السحوبات تزيد عن الإيداعات، يصـبح الحساب مكشـوفاً. إذا استمر ذلك ووصل الحساب إلى مرحلة ليس فيها سـوى السحوبات دون إيداعات للتعويض عنها، يصبح الحساب مفلساً. عندما تصل العلاقة إلى تلك المرحلة، يصبح صعباً العودة إلى ما كانت عليه الحال سابقاً. بسبب كل الصعوبات، يتم إنفاق كل المشاعر الرقيقة والاحترام، ولا يبقى شيء سوى الاستياء وخيبة الأمل. وعندما يصل الأمر إلى تلك المرحلة، ما الذي سيفعله الحب عندها؟

سمعت مرة، في اجتماع في منزلي، أختاً تقتبس تلك العبارة ولم أفهم ما كانت تعنيه. طلبت منها أن تشرح الأمر. في الجوهر، قالت: «عندما لا تحصلين على حقوقكِ ولا يتم احترامكِ، عندما يتكلم زوجك عن الحريات فقط، ما الذي سيفعله الحب عندها؟ في أوقات مثل تلك، ما الذي يعنيه إن كنت ما تزالين «تحبينه»؟ هل ينبغي أن تبقي معه، تتشبثين بالحب، فيما يكون كل شيء آخر قد انتهى؟».

«لا يمكنني القول: إنني وقعت في الحب ... لا أعتقد أن للحب دخلاً في ذلك. حتى الآن، أحبه في الله؛ لأنه مسلم ... لقد أضحى مسلماً ضعيفاً وليس هذا ما أريده لنفسي. من الصعب جداً البقاء مع شخص لا يطيع الله. هذا يجعله يتناقض تماماً مع ما تؤمنين به» عالية.

وافقت كل الأخوات اللواتي تكلمت إليهن بشأن هذا الأمر أن الحب ليس بالضرورة ما يجعل الزوجين يعاملان بعضهما بإنصاف، إنه الدين ـ طاعة أوامر الله. لهذا زواج مع حب دون دين فيه مجازفة ـ كيف سيتصرف الزوج إذا تبددت مشاعر الحب، أو إذا أحب امرأة أخرى؟ ليس هناك قيود، قواعد، متطلبات الحد الأدنى، أو أي شيء ينبغي عليه الوفاء به حتى إذا لم يكن يحب زوجته. الشيء نفسه ينطبق على المرأة ـ الدين هو ما سيجعلها تعامل زوجها جيداً، حتى إذا توقفت عن حبه.

«بالنسبة لي، ليس الحب وإنما الدين الذي يقهر كل شيء. نعم، يريد كل رجل وامرأة أن يحب ويكون محبوباً، لكني لا أستطيع العيش مع الحب دون دين. لن يكون لطيفاً العيش في الدين دون حب، لكن ربما يكون ذلك أسهل. على الأقل، إذا كان الرجل متديناً، فسوف يحب في الله، وسيحترمك ويقدّرك ويمنحك حقوقك» أم محمد.

علـى أي حال، لدى بعض الأخوات إجابات مختلفة. قالت هاجر، مثلاً: «الحب ضـروري قطعاً في الزواج. بالنسبة لي، إذا لم يكن هناك حب، فلن يكون هناك زواج. ينبغي أن أحب زوجي، وإلا سيكون زواجاً ناقصاً». لكنها وجدت أيضاً أن الدين جزء لا يتجزأ من بنية الزواج.

«تحتاجين إلى كلٍ من الحب والدين؛ لأن الدين هو البناء. أعتقد أن تلك نقطة ضـعف العديد من حالات الزواج اليوم، الافتقـار إلى البناء. الزوج يريـد أن يكون الزوجة، والزوجة تريد أن تصـبح الـزوج، وأخيراً لا يرغب أحد بأن يكون الآخر! لا أحد يعرف حقاً دوره بالتحديد، يصبح الأمر أسهل كثيراً عندما تعرف المرأة دورها ودوره. ربما كنا بحاجة للابتعاد عن البناء من وقت لآخر، لكننا سنعود إليه دائماً في النهاية».

وبالرغم من ذلك، يبدو ذلك ساخراً جداً! مهما حدث، هل يبقى الحب كافياً، يتغلب على كل شـيء ويجعل العالم يستمر بالدوران؟ أردت تصديق تلـك الأشـياء، كما نفعل جميعنـا. لم أكن أريد التفكير بـأن تلك الكلمات خاويـة دون معنى، وأنها أساسـاً آمال غير ذات جـدوى. هناك الكثير من الأشـياء التي نريد تصديقها، ليس لأنها صحيحة، لكن لأنها تجعلنا نشعر بحال أفضل، وتجعل التعامل مع الحياة أسهل، حتى إذا كان تأثيرها أشبه بالممنوعات منه أي شيء آخر. لهذا تابعت البحث، الكلام والإصغاء. سمعت قصصـاً عن رجـال جعلوا حياة زوجاتهم بائسـةً، عاملوهن بشـكل فظيع وحرموهن حتى من بعض حقوقهن الأساسـية، وكانوا يزعمون برغم ذلك أنهم يحبوهن بشـدة، يرفضون تسـريحهن ويخافون من خسارتهن. رأيت نسـاءً يبعن أنفسـهن رخيصـة، يقبلن بأقل من حقوقهن، يؤذين أنفسهن إكراماً للأزواج الذين يدّعون أنهم يحبونهن. يتشبثن به، سنة بعد أخرى،

على أمل أن تضع كلمات الحب تلك في النهاية حداً للإهمال، الإهانات أو الضرب لكن نادراً ما يحدث ذلك. عندما سمعت تلك القصص، أصبح صعباً علي أن أصدّق بـ«قوة الحب».

وحيثما وجدت زوجين مسلمين متحابين، كنت أرى أنهما عندما يواجهان المشكلات، ليس «الحب» ما يتحولان إليه، وإنما الدين، الإيمان. ويلجآن إلى الصلاة في الليل، التضرع، طلب المغفرة، تنقية الروح، زيادة أعمال الخير. وكل ذلك يفتح أبواب التواصل والتسامح التي تقودهما، ببطء لكن بثبات، مجدداً إلى الحب الذي كانا قد تشاطراه مرة. ويكون هذه المرة أكثر عمقاً، غنىً وثباتاً في الأرض. لأن الله يكون قد جمع قلبيهما معاً.

عندما نقول وداعاً

لا شك أن الخلافات الزوجية لا يمكن حلّها أحياناً، وينبغي على الزوجين أن يفترقا. يدهشني أنه، حتى اليوم، يوجد أشخاص مسلمون وغير مسلمين يعتقدون أن المرأة المسلمة لا تستطيع الانفصال عن زوجها. يعتقدون أنها حالما تدخل في تلك العلاقة، لا يوجد نص يسمح لها بالخروج منها، وأنه لا مفر، تبقى عالقة فيها إلى الأبد. صدّقوني أنني قبل أن أقبل الزواج، تفقّدت تلك المسألة جيداً:

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128].

في الإسلام، الزواج ليس ارتباطاً مخيفاً لا يمكن أبداً «التخلص منه». تدرك الشريعة وجود أوقات تفشل فيها كل الجهود الرامية للتوصل

إلى حل سلمي في تحقيق نتائج، ويكون على الزوجين الانفصال. نظراً لتأثيراته السلبية على الأفراد المعنيين، أطفالهما والمجتمع بشكل عام، لا يتم التشجيع على الطلاق وما يزال نادراً في بعض المجتمعات الإسلامية. على أي حال، ربما يبدو في المناخ الاجتماعي المعاصر أن حالات الزواج تصبح أكثر هشاشة مع تزايد عدد حالات الطلاق. هل يعود سبب ذلك إلى أننا نتعلم أن نأمل الكثير من الشريك، لكننا لا نجد ذلك أبداً في شخص واحد؟ هل لأن النساء اللواتي يتركن مؤسسة الزواج لم يعدن يواجهن العوز؟ هل لأننا نعد الزواج شيئاً غير ذي قيمة كبيرة، بخلاف أجدادنا الذين كانوا، سواء للأفضل أو للأسوأ، يبقون معاً حتى موتهم، يتحملون الصعاب وخيبات الأمل إضافة إلى قضاء أوقات سعيدة؟ لا يقول الإسلام: إن الأفضل لزواج سيئ أن ينتهي بالطلاق، لكنه يركّز على الصبر، وهو أحد عوامل الزواج الناجح.

في الشريعة الإسلامية، هناك ثلاثة أنواع من الانفصال الزوجي، الطلاق الرجعي، الطلاق البائن وفسخ عقد الزواج (الخَلْع). الطلاق يكون من جانب الرجل، والخلع من جانب المرأة.

﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 229].

الشيء الطبيعي، بعد محاولة كل الأساليب المختلفة لحل النزاعات الزوجية دون التوصل إلى اتفاق، أن يقوم الرجل بتطليق زوجته طلقة

واحـدة. وتدخـل الزوجة بعد ذلك في العدّة ـ مـدة الانتظار ـ ثلاثة قروء. خـلال هـذا الوقت، ينبغي علـى الزوج والزوجـة البقاء معـاً في المنزل، لا يتخلى أحدهما عن الآخر. إضافة إلى ذلك، يكون من حق المرأة الحصول على الطعام، والملابس والسـكن. تمنح هذه المدة الزوجين، عبر التواصـل اليومي، فرصة حل خلافاتهما.

أيضـاً، إذا اسـتعاد الزوجان علاقاتهما الطبيعية أو تشاطرا الفراش، يكـون الطـلاق ملغىً. لهـذا ينبغي عليهما البقـاء برغم انفصـالهما. إذا «انقضت مدة العدّة، يكون الطلاق نهائياً ويفترق الزوجان. إذا كان للمرأة أطفـال، تحتفظ بحق الحضـانة ما داموا في رعايتهـا. وكما هو مذكور في القـرآن، يمكن للاثنين أن يتزوجا مرة أخرى بموجب عقد ومهر جديدين. يمكنهما القيام بذلك بعد الطلاق مرتين.

الطـلاق الثالـث بائن. هـذا يعني أن الاثنـين لا يسـتطيعان العودة إلى بعضهما إلا بعد أن تتزوج المرأة زواجاً حقيقياً كاملاً من رجل آخر. بعد هذا الطلاق، ينبغي أن ينفصل الزوجان ومدة العدّة هي دورة حيض واحدة.

الخلع هو عندما تتقدم المرأة بطلب إلى السـلطة القضائية لإلغاء عقد الزواج. مسـببات الخلع تتضـمن فشـل الـزوج في إعالة زوجته، الإسـاءة النفسـية أو الجسـدية، الظلم، الغيـاب الطويل والعنانة. يتـم الطلب إلى الزوج أولاً أن يطلّقها، وإذا رفض، يعلن القاضي أو سلطة أخرى طلاقهما. في هـذه الحالة، تعيد المرأة مهرها؛ لأنه تم فسـخ العقـد الآن. إذا لم يكن لديها مال لإعادة مهرها، يمكنها أن تطالب بدين لها في ذمة زوجها؛ ليكون «فدية» لها. تسـتطيع أيضاً اسـتعمال أموال الزكاة لتكون «فدية» لنفسها. مـدة العدّة دورة حيض واحدة، يكون الاثنـان بعدها حرّين في الزواج مرة أخرى بعقد ومهر جديدين.

المسلمون مطالبون بالصبر في كل الشدائد، سواء كانت روحية، أو مالية أو زوجية. لكن أحياناً لا يكون ذلك الصبر كافياً لتفادي النهاية. كنت قد تعرفت إلى نساء مسلمات يعانين من مشكلات زوجية أكثر معارضة لفض عرى الزواج من نساء أخريات. يسألن أنفسهن إن لم يكن باستطاعتهن فعل المزيد، الصلاة أكثر، التحلي بالصبر أكثر وأكثر. يفكّرن بالتأثير الذي سيتركه الانفصال على دينهن، أطفالهن، والأثر الذي سيخلّفه على آراء عائلاتهن غير المسلمة بشأن الدين.

لكن الشيء الوحيد الذي غالباً ما يجعل الانفصال حتمياً هو عندما يؤثر الزواج سلبياً على دينهن. كنت قد رأيت عدّة أخوات يضعن اهتمامات الآخرين الجسدية، المالية والنفسية قبل اهتماماتهن الخاصة طيلة سنوات، لكن ذلك استمر فقط إلى مرحلة شعرن بها أن دينهن سيتأثر سلباً، وأنه سيتأذين روحياً.

«انتابني شك في نفسي وفيما أؤمن به. جعلني ذلك أتساءل عن الدين، أو ما أعرف عنه. فكّرت: هل هذا صحيح؟ إلى أي حد تعرّضت لغسيل دماغ، وهل هذا من الدين؟ فكّرت فحسب أنه إذا كان هذا هو الدين، ربما هذا ليس مناسباً لي؛ لأنني أتداعى من الداخل هنا، لا يمكنني الاستمرار، ولا أستطيع العيش على هذه الحال» ليلى.

إذا سمحت بذلك الظلم الجائر، وعدم الإنصاف واليأس بوضعك يمكن أن يجعلك تفقدين إيمانك بوعد الله، وربما تشككين أحياناً في الدين نفسه. لا يريد أي مسلم الوصول إلى تلك المرحلة أبداً.

أخبرتني ليلى بشأن أسبابها لطلب الخلع: «أدركت آنذاك أن الوضع لم يكن كما أرغب أبداً، أعتقد أن كلينا قد تغيّر بوصفه شخصاً. كنت أمام خيار إما فقدان نفسي، أو فقدان هويتي، أو النضوج بصفتي شخصاً. كنت قد تقلّبت كثيراً حتى تلك اللحظة، وعرفت أنني كنت أمر بآخر تقلباتي ولم أرد أن أضع الأمر جانباً. كنت أعرف أنني غير سعيدة على الإطلاق وأن ذلك ليس ما أريده. لهذا وقّعت أوراق الخلع».

ناقشت مع أم محمد طلاقها بشكل مطوّل. كان عليّ أن أسألها ما الذي جعلها تُقدم على تلك الخطوة القاسية وطلب الطلاق من زوجها، الرجل الذي عرّفها على الإسلام.

أجابت: «نظراً لمشكلات زوجي النفسية وعدم الاستقرار الذي أحدثته في منزلي، قررت أن أغادر».

لكن ألم تكن تحبه؟

«عندما لا يقوم الرجل بما يطلب منه الله القيام به، ولا يتقدم في الدين، بالنسبة لي، يبدأ الحب بالتراجع. لهذا تقدمت بطلب الخلع، لكن لأن ذلك كان إجراءً طويلاً، قلت له فحسب: إنني أريد الطلاق. حاول إقناعي بالاستمرار معه لكني كنت مقتنعة تماماً بأن ذلك ما أريده. لهذا جعلته يطلقني طلقة واحدة».

لماذا كان الطلاق الطريق الوحيد؟

«شعرت بأن هناك شيئاً يعوقني فيما يتعلق بديني، والطريقة التي أردت أن أعيشها، وكيف أردت ممارسة ديني؛ لأن مرضه العقلي كان يعطّل

حياتي حقاً. كانت هناك أشياء أريد اكتسابها من الإسلام، ولم أشعر بأنني أحصل عليها في ذلك الزواج. زيارة مستشفيات الأمراض العقلية، السجن وتعرّضي للتفتيش، لم تكن تلك الطريقة التي أريد أن أحيا بها. لم أكن أشعر بالأمان بصفتي امرأة وقد تأثر الأطفال سلباً بشكل كبير أيضاً».

أردت أن أعرف ما إذا كان امتلاك معرفة أعمق بالدين أو إيمان أقوى سيجعل المرأة، على الأرجح، تتحمّل زواجاً غير سعيد. بكلمات أخرى، هل تتحمل المرأة المتدينة صعاباً وبؤساً أكثر أم أقل؟ لهذا، عندما تكلمت إلى أخوات مطلقات، سألتهن: «هل تعتقدين أن طلاقك كان نتيجة إيمان ومعرفة أكثر أم إيمان ومعرفة أقل؟

كانت أم محمد واثقة تماماً من جوابها. «كان طلب الطلاق الخاص بي نتيجة إيمان أكبر؛ لأنني كنت أعرف أنني لا أريده أن يكون في حياتي بعد ذلك. لم تكن تلك الحياة تقوم على أسس إسلامية فيما أظن».

لكن عالية لم تكن واثقة تماماً. بعد أن اختبرت حوافزها باستمرار، وأخضعت نفسها وماضيها للاستفهام، قالت لي: «قضيت وقتي أحاول اكتساب المعرفة وتربية أطفالي، وما بين هذا وذاك، وبين الحين والآخر، كنت أنظر إلى المرآة وأفكّر: «لماذا فعلت هذا؟ أو لماذا فعلت ذلك؟ وما زلت أطرح على نفسي الكثير من الأسئلة، وهذا أمر لا يُصدّق. هل هو الشخص نفسه الذي عرفته عندما التقيت به؟ هل هناك إشارات على ذلك الآن؟».

أخيراً، كان دينها الذي منحها القوة لإنهاء علاقتهما.

«جوهرياً، فكّرت بأنني انتظرت أن تقوم بإصلاح نفسك لكنك لم تفعل

أي شيء. لهذا، هل تعرف أمراً؟ سأطلب الطلاق منك. أنت لا تقوم بالعمل الصائب، ولا تخشى الله كما ينبغي لك أن تخشاه. وتعمل على إضعاف وإضعاف أطفالي. أردت فعلاً أن أتعلم عن ديني، أتقدم إلى الأمام، وقد كان يأخذني بعيداً عن ذلك».

عندما غادرت منزل عالية، كنت متأثرة للغاية، وغارقة في الأفكار. أستطيع القول من خلال محادثتنا: إن زواجها كان مليئاً عبر السنين بالصعوبات وواجه الكثير من الاختبارات. وبرغم أن قلبي تألم لمعاناتها، إلا أنني لم أستطع سوى الإعجاب بالأم الحنون، المضيفة الكريمة والأخت المحبة التي كانت أمامي. أين كانت المرارة؟ أين كان الندم، الغضب والألم؟ لم أرَ شيئاً من ذلك فيها، ليس في صوتها، ليس في سلوكها، ليس في كلماتها. وكنت أعرف السبب. لأنها كانت تؤمن بوعد الله، وأنه لن يحمّلها ما لا طاقة لها به، وأن مع العسر يسراً، وأن ما من مؤمنة تعمل عملاً صالحاً لا ترى ثوابه، في هذه الحياة أو الحياة الآخرة. كل تلك الأشياء هي التي جعلتها تخرج من تجربتها القاسية شخصاً أقوى وأفضل، ممتلئة تفاؤلاً وأملاً.

تترافق نهاية الزواج مع مجموعة من المشاعر. تكلمت العديد من الأخوات عن مشاعر الارتياح والتطلع قدماً نحو حقبة جديدة في حياتهن. كن يشعرن بالثقة والقوة، وهو شيء ربما يكون انعكاساً لحالة انتهاء الزواج وليس للطلاق نفسه. بعد التفكير ملياً في تأثيرات طلاقها على حياتها، أخبرتني عالية: «منذ حصولي على الطلاق، أشعر ببعض الطمأنينة. كنت أقاتل دائماً ضد شيء ما، وكان هناك دائماً شيء ما «يجري» في حياتي. لهذا برغم أنني الآن أتولى شؤون العائلة بمفردي، إلا أنني أعرف أنه بعد الشدّة يأتي الفرج. أشعر بالسكينة الآن مع نفسي».

«عندما انتهت إجراءات الطلاق، كانت رؤيتي للأشياء مختلفة. أصبحت أقوى من الداخل الآن، وأعرف كيف أسيطر على نفسي بشكل أفضل. بعد الشدّة يأتي الفرج، وإذا كنت صبورة واعتمدت على الله، أعتقد أنك ستشعرين بارتياح أكبر، وأعرف أنني بذلت ما بوسعي لأكون صبورة، وقد منحني الله لأجل ذلك الراحة. عندما جاءت الأوراق، كنت بخير، ما شاء الله» ليلى.

لكن لم تكن كل الأخوات سعيدات عند وقوع الطلاق، خاصةً إذا كان من جانب الزوج. بالنسبة لبعض النساء، المسلمات وغير المسلمات على حدٍ سواء، يشير الطلاق إلى بداية الوحدة وعدم الاستقرار ـ ينبغي عقد صداقات جديدة، اكتشاف أساليب جديدة لتمضية الوقت، طرق جديدة للتأقلم مع الوضع، عاطفياً وغالباً مالياً. يصح هذا خاصةً على حالات الطلاق التي تقع في وقت متأخر من عمر المرأة. بعد قضاء سنوات زوجة وأما، تصبح وحيدة حينها، تتعلم كيف تعيش دون «النصف الآخر». بالنسبة للعديد من النساء، يترافق هذا مع استياء ومرارة ـ تشعر أنها أضاعت أفضل سنوات حياتها، وأن الحياة قد تجاوزتها، وأنها كانت موضع استغلال وتم التخلي عنها.

لكني اندهشت عندما وجدت أن المرأة المسلمة الملتزمة تجد الأمور مختلفة. برغم أنها قد تكون تنزف من الداخل، إلا أنها صبورة في المحنة. لا تغضب ضد القدر، قضاء الله، وتقبل الأمر. تعرف أن تلك السنوات التي كانت تعبد فيها مولاها من خلال العناية بعائلتها لن تضيع، إنها تحتسبها عند الله وتأمل بأن يضعها في ميزان حسناتها. تعرف أنه بعد الشدّة يأتي

الفـرج. تعرف أنـه لن يتم تحميلها ما لا طاقة لها به. ويمنحها هذا الأمل. لهذا، بعد أن تجف الدموع ويهدأ الألم قليلاً، تبدأ التطلع قدماً، وتعرف أن هويتها مسـلمةً ليسـت مرتبطة بزوجها وأطفالها. تجتمـع الأخوات حولها عادة، ويزوّدنها بالنصيحة والدعم أو يقدمن لها ببساطة كتفاً تبكي عليه. وتبـدأ تتطلـع قدماً نحو إعـادة البناء، إعـادة الاكتشـاف، التجديد الذي سـيجري في السـنوات اللاحقة. وهي ممتنة لله؛ لأنه أنعـم عليها بدينها، وعقلها وجسـدها. وبرغـم أن ذلك قد لا يبدو كثـيراً، إلا أنه كافٍ لجعلها ترغب بالعيش يوماً آخر والاسـتفادة منه. بالنسـبة لها، تلك ليسـت نهاية العالم. ولحسـن الحظ، ليس شـائعاً في مجتمعنا ألا تتـزوج المطلقات مرة أخرى وألا يحظين بفرصة ثانية لإنشاء زواج إسلامي ناجح.

مقوّمات الزواج الإسلامي الناجح

برغم أن القائمة ليست شاملة، إلا أنها تستند إلى ما جاء في الشريعة، إضافة إلى تجارب شخصية وأحاديثي مع الأخوات.

- **الدين**

«قـال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» سـنن الترمـذي، وهـذا يلخّص الأمـر كلـه. إذا كان زوجك رجـلاً طيباً ومسـلماً صـالحاً، إذا كان يخاف الله، فسـوف يعاملكِ كما ينبغي ويلتزم بما قاله النبي ﷺ» بيغوم.

الديـن هو أكـثر المقومـات أهمية في الـزواج الإسـلامي الناجح. هذا يعنـي أنه ينبغي على الزوجين احترام الدين وقواعده. ينبغي أن يتصـرفا

ضمن زواجهما وفقاً لماء جاء في القرآن والسُنّة. ينبغي أن يتصرف الزوج بحكمة ويعمل على تلبية حاجات أسرته أولاً بشكل عاطفي. ينبغي أن تدعم الزوجة زوجها بالخير وتطيعه قدر ما تستطيع. ينبغي أن تكون تصرفاتهما إسلامية. ينبغي ألا يكون هناك كذب، غش، إهانات، غيبة، فظاظة، كفر، تفضيل النفس، تكبّر، أنانية وإنكار للمعروف؛ لأن الإسلام حرّم كل ذلك. ينبغي أن تكون نشاطاتهما إسلامية، ليس فيها كحول، ممنوعات، زنا، اختلاط أو ارتياد للنوادي الليلية؛ لأن الإسلام استبدل بهذه الأمور أشياء مفيدة وجميلة. ينبغي على الزوجين أن يكافحا في دينهما معاً، دراسة الدين، حفظ القرآن، تعلّم الدعاء، تذكير أحدهما الآخر بالله، تصويب أخطاء بعضهما، تشجيع بعضهما بالخير؛ لأن الله يبارك كل هذا ويقرّبهما إلى بعضهما نتيجة ذلك.

«تحاولين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحاولين فعل أشياء ترضي الله» ليلى.

ينبغي أن يمنحا بعضهما حقوقهما ويتحملان مسؤولياتهما ويأخذان بالحسبان دائماً أن الله سيسألهما عن طريقة معاملتهما لبعضهما.

«ينبثق كل شيء من الدين. كيف كان النبي ﷺ مع عائلته، ينبغي على زوجكِ أن يكون مثله أو يكافح ليكون مثله» صفوة.

أيضاً، الدين يحمي من سوء المعاملة، لأن الزوجين ليسا مسؤولين عن بعضهما فقط، وإنما مسؤولان في النهاية أمام الله. تقّرب كل تلك الأشياء الزوجين من بعضهما، وتجلب بركة الله على الزواج؛ لأنه هو من يمتلك القدرة على جعل الزواج ناجحاً أو فاشلاً.

● تقدير الزوجين لبعضهما

«ينبغي على الزوج المسلم احترام زوجته للواجبات التي تقوم بها ـ قدّر الطعام الذي تطهوه، عبّر عن إعجابك بالطريقة التي تربّي بها الأولاد، قل: «الحمد لله» للطريقة التي تستر بها زوجتك نفسها بطريقة إسلامية عندما تخرج، امتدحها عندما تعتني بالمنزل. بالنسبة للنساء، قدّري حقيقة أن زوجك يخرج للعمل وإعالة العائلة، اجعليه يعرف أنكِ تشعرين بالسعادة والطمأنينة في منزلكِ، قدّري ما يفعله من أجلكِ» أم محمد.

بالفعل، قال النبي ﷺ فيما معناه إنه لن يكون ممتناً للناس الذين لا يكونون ممتنين لله. قول «شكراً لك» لبعضهما ربما يبدو أمراً أساسياً، لكنه شيء غالباً ما يتم نسيانه في غمار الحياة اليومية.

● التواصل

«لن يدوم الزواج إلا إذا كان كلاكما يعرف كيف تحلان المشكلات معاً؛ لأنه سيكون هناك مشكلات، طيلة الوقت. لكن إذا لم تكونا تعرفان كيف تحلان المشكلات معاً، فستختلفان حينها كثيراً ويكون عليكما أن تنفصلا. أيضاً، احترما اقتراحات الشخص الآخر. إذا كنتما تستطيعان القيام بذلك باستمرار، فلن تصبح المشكلة أكبر، تتوصلان إلى اتفاقية سلام خلال وقت قصير» هاجر.

ينبغي أن يتحدث الزوجان إلى بعضهما، يتبادلان المشاعر ويحلان خلافاتهما بذهن منفتح وصدق. غالباً ما يقود فقدان التواصل إلى سوء

الفهم، مشاعر الإهمال، الاستياء والنفور. ينبغي عدم ترك المشكلات حتى تتفاقم أو إخفائها دون معالجة. أفضل طريقة للتعامل مع المشكلة غالباً ما تكون الحديث عنها بعد وقت قصير من وقوعها. بتلك الطريقة، يستطيع الزوجان مناقشتها بعد أن يهدأا ويذهب عنهما الغضب.

● **الصبر**

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: 45].

مثل كل الأشياء التي يكون ثوابها كبيراً، يمر الزواج باختبارات خاصة به أيضاً. لن يتفق الزوجان طيلة الوقت، ولن يسعدا بعضهما دائماً وسيواجهان عقبات على طول الطريق. الصبر أساسي في مثل تلك الأوقات للحفاظ على استمرارية الزواج والتوصل إلى حل للمشكلات في النهاية. التحلي بالصبر يعني ألا تتعدّى حدود الله، ليس صحيحاً الامتناع عن منح الآخر حقوقه؛ لأن شيئاً ما ليس على ما يرام. التحلي بالصبر يعني أيضاً التغاضي عن نقاط ضعف، عيوب وأخطاء الطرف الآخر والتماس الأعذار له. الزواج عمل شاق ولن ينجح إذا كان أحد الشريكين يفتقر للهدوء، الصبر أو التسامح.

● **التواضع**

الزواج من رجل أو امرأة متكبّرة ومتعجرفة كابوس: لن يقبلا الاقتراحات، الانتقادات أو الشكوى. يقود هذا الشريك الآخر للشعور بالإحباط والاستياء. ينبغي على كلا الشريكين أن يدركا أنهما ليسا معصومين عن الخطأ وأن التواضع ليس علامة على الضعف، إنها سجية جديرة بالثناء. يقود قبول الانتقاد بلطف إلى تطوير الذات وعلاقة متكافئة مشتركة.

● **اللطف**

بالفعل، «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطي على العنف».

حديث النبي ﷺ، رواه ابن ماجة.

القاعدة أن الزوجين ينبغي أن يعاملا بعضهما برفق. ليس هناك مكان للكلمات القاسية، اللغة الفاحشة، الأصوات العالية أو العنف في زواج ناجح. إذا عامل الزوج والزوجة بعضهما بلطف وحساسية، فسوف يشعر كلاهما بالطمأنينة والسكينة ضمن العلاقة. سيزيد هذا من الحب بينهما ويجعل التعامل مع أي مشكلات يواجهانها أسهل. من الواضح أن هناك أوقاتاً لا يكون فيها الرفق ممكناً، لكن ينبغي أن يكون المبدأ السائد.

● **تحمّل المسؤوليات**

كلّف الله الزوج والزوجة بمسؤوليات في الزواج، ومن المهم تحمّلها والوفاء بالتزاماتها.

«أحياناً، تحتاجين إلى الإلهام والحافز لتفكّري: «ينبغي أن أبدو بمظهر حسن وأقوم بتحضير عشاء شهي لزوجي»، لأنكِ إذا تركت الكسل يستولي عليكِ، فسينتهي الأمر حينها؛ لأنه إذا جاء زوجك كل يوم إلى المنزل ليجد مظهر زوجته مزرياً وطعاماً غير شهي، ما الذي تتوقعينه سوى التعاسة في زواجك؟ الأمر متبادل، ينبغي أن تفعلي أشياء لطيفة من أجله، وعليه أن يفعل أشياء لطيفة من أجلكِ، ولا يمكن أن يصح الأمر بخلاف ذلك» سارة.

ينبغي أن يعمل الرجل على تلبية احتياجات عائلته وألا يكون كسولاً ويعتمد على الآخرين لدعم عائلته فيما هذه مسؤوليته. ينبغي على كليهما أن يتأكدا من تلبية احتياجات الطرف الآخر جنسياً. ينبغي على الزوجة ألا تدع أعباء المنزل تتراكم، وتهملها لأسابيع متوالية. قيام المرء بإهمال مسؤولياته ليس إثماً فحسب، وإنما يقود إلى العديد من المشكلات الزوجية، ومن ضمنها: الاستياء، وفقدان احترام الزوجين لبعضهما، والمشاجرات، وفي أحيان كثيرة الانفصال.

● **إبقاء نيران البيت متّقدة**

مطلوب من الزوج والزوجة المسلمين أن يتجمّلا لبعضهما، ولهذا تأثير رائع على الزواج. على العكس مما هو شائع، ينبغي على الزوجة المسلمة أن تعمل على تجميل نفسها عندما تكون في المنزل، لزوجها ونفسها، وأن تعرف أن ذلك يطلق شرارة وشغفاً في العلاقة الزوجية. حافظا على الشغف بتبادل الهدايا، عبارات الغزل، وجبات رومانسية لكما، حتى إذا تم ذلك على ضوء الشموع في غرفة المعيشة بعد أن يأوي الأطفال إلى السرير. المهم أن تجدا وقتاً لبعضكما، وأن تغازلا بعضكما وتجعلا بعضكما تشعران بأنكما مرغوبان.

● **الاحترام المتبادل**

أحد عوامل الزواج الجيد هو احترام شخصية سمات وآراء الطرف الآخر. في الواقع، الرجل المسلم مطالب تحديداً بعدم محاولة تغيير شخصية زوجته، كما هو مذكور في الحديث: «إنّ المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت

تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها» رواه مسلم. احترام مسؤوليات،وجهات نظر وخبرات الطرف الآخر شيء جوهري. ينبغي على كلا الطرفين عدم التقليل من شأن الطرف الآخر أو إهانته؛ لأن ذلك يقود إلى خسارة الثقة أو الاستياء. في علاقة الاحترام المتبادل، يشعر كل بأن دوره موضع تقدير وثقة ضمن الزواج. ليس هناك حاجة للتهكم أو التنازل في زواج إسلامي.

● **الاستمتاع معاً**

لا تهملا أبداً أهمية قضاء وقت ممتع معاً، والقيام بأشياء تكسر رتابة الحياة اليومية. كانت علاقة النبي ﷺ بعائشة نموذجاً يحتذى في تلك الأشياء الصغيرة، كانا يداعبان بعضهما، يلعبان، يتسابقان، يقصان على بعضهما القصص ويقضيان وقتاً ممتعاً معاً.

«لا يمكنك أن تتطلعي إلى سد احتياجاتك فقط. تريدين منه الخروج عن المألوف لفعل أشياء لطيفة لكِ، وهكذا يمكنكِ الخروج عن المألوف لفعل أشياء لطيفة له. كونا لطيفين مع بعضكما، قوما بتحضير مفاجآت لبعضكما، وافعلا أشياء عفوية، وليس الأشياء الرتيبة نفسها، يوماً بعد آخر» أم محمد.

بذل كل ما بوسعنا لنجعل زواجنا عمل عبادة، طاعة الله، تحمّل مسؤولياتنا واحترام بعضنا كلها «ودائع حب». تساعد المشاركة في الأفكار والمشاعر، التواصل والقيام بأشياء ممتعة معاً في إبقاء جذوة الحب متقدة وإنعاشها، ويضيف إلى رصيد «حساب الحب» ويعمل على إبقاء زواجنا «في منطقة الأمان».